الجنسين ★★ ، مما يترتب على ذلك وجود اختلاف جذري · فالدكتور زكريا ابراهيم يقول «حقا اننا لا نفهم الوقائع البيولوجية الا في ضوء سياق وجـود اقتصادي ، نفسي ، اجتماعي ، ولكننا لا ننسى ان تكوين المرأة البيولوجي هو الذي يجعلها منذ البداية فريسة لصراع نفسي عميق بين اهتمامهـا بذاتها وخدمتها للنوع البشري ، ما دام هو الذي يقضي عليها بأن تكون اداة النوع في التكاثر ··· ان معظـم المتاعب النفسية التي سنلتقـي بهـا لـدى الكثيـر مـن النساء انمـا هـي فـي العـادة وليدة هذا الصراع الكامن لدى المرأة بين الفـرد والنوع » (١٠) ، ويضيف مشيرا الى كون المرأة عاطفية اكثر مـن الرجل « ربما كان من الصواب ان يقال ان وظيفة الامومة قد اقتضت ان تكون المرأة اكثـر حساسية من الرجل واسرع استجابة للمؤثرات الوجدانية » (١١) · وحول العلاقة بيـن سلبية المرأة وتكوينها البيولوجي ، يقول « لسنا نزعم ان السلبية المطلقة هي الصفـة الاصلية التي تفرضها على المرأة طبيعة تكوينها البيولوجي ، وانما نحن نرى ان هذه السلبية وان كانت نسبية الا انها داخلة في صميم تكوين المرأة البيولوجي باعتبارها مخلوقا يتجه معظم نشاطها نحو الداخل» (١٢) ·

اننا لا ننكر وجود بعض الفروق البيولوجية بين الجنسين ناتج عن الفرق في الوظيفـة الجنسية لدى كل منهما · ولكن هل تشكل هذه الفروق اساسا للتمايز الاجتماعي بيـن الرجل والمرأة ، وتفسر اضطهاد الرجل للمرأة هذه الحقبة الطويلة من الزمن ؟ وهل هذه الفروق البيولوجية هي التي حالت دون بروز النساء في النشاطات العديـدة ولا سيما العقلية التي برز فيها الرجال ؟ ام ان ذلك يعود الى ما ساد من مفاهيم حول دونية المرأة

★★ يؤكد مثل هذا الموقف بعض علماء النفس ، استنادا الى عدد من التجارب التـي قاموا بها حول هذه المشكلة · ومن اهم هذه التجارب تلك التي قام بها كاجان « kagan » عن الاطفال ، حيث لاحظ وجود اختلافات في استجابة الذكر والانثى من الاطفال الصغار لبعض المؤثرات الخارجية · ومن هذه التجارب ايضا ، تلك التي قام بها عالم التحليـل النفسي اريك اريكسون في دراساته لمرحلة الطفولة · حيث اشار الى وجود بعض الاختلافات الهامة بين الجنسين تظهر بوضوح في طريقة اللعب واستخدام الدمى · وملاحظاتنـا على تجارب كهذه ان علماء النفس البورجوازيين بمنهجهم الشكلي ، لا يعطون اهمية لما يلتقطـه الطفل ــ حتى وهو في اعوامه الاولى ــ من ظواهر سلوكية معينة في البيت تؤثر على كيفية استجابته للمؤثرات الخارجية ، ويذكر جيروم كاغن « إن الطفل الذي لم يبلغ السنة والنصف بعد يأخذ في ادراك جنسه من اللغة التي يخاطب بها ممن حوله من الناس فيستدل منها انـه (هو) او (هي) ، وحتى قبل سن التكلم يكون لحركات وطريق التحدث والتدليل ممن حـول الطفل تأثير لا يستهان به في اشعاره بجنسه » · اضافة الى ذلك ، فانه مما لا شك فيـه ان معتقدات الوالدين والاهل ومفهوم الثقافة للجنس من حيث هو مذكر او مؤنث تلعب دورهـا بالايحاء والتوجيه بما هو مناسب او غير مناسب لكل من الجنسين ، فيما يتعلق بالاخـلاق والسلوك والاهتمامات والمركز والقيمة والحركات والتعبيرات · وبهذا الخصوص فانني اذكر حادثة طريفة تؤكد ما اوردته هنا · كنت في زيارة احدى العائلات ، وسألتني طفلة لا يتعدى عمرها الاربع سنوات ان كنت متزوجا ام لا،فلما قلت لها انني غير متزوج· قالت باستغراب: اذن من يعد لك الطعام ويغسل لك الثياب ويكويها · فلما اجبتها بانني انا نفسي اقوم بهـذه الاعمال استغربت وقالت الرجل لا يقوم باعمال كهذه بل المرأة · وهذا يدل على مدى تأثيـر البيئة في تكوين مفاهيم معينة عند الاطفال · للمزيد من التفصيل حول هذه المشكلة انظرعالم الفكر ، عدد خاص عن المرأة ، المجلد السابع ، العدد الاول ١٩٧٦ ص ٦ ــ ١٠ ·